المعلّم نقولا الترك

١٧٦٣ – ١٨٢٨

بقلم فؤاد افرام البستاني

يظهر قريباً في « منشورات مديرية الآثار » اللبنانية « ديوان المعلم نقولا الترك شاعر الامير بشير » وقد ضبط نصوصه ووضع فهارسه الاستاذ فؤاد افرام البستاني ، وقدم له بالبحث التالي:

في الحقبة التي بدا فيها لبنان مستعيداً رسالته الثقافية ، مؤسساً اولى مدارسه في العصور الحديثة ، مهداً السبيل لهذه النهضة المباركة التي ما برحنا في خدمة نشرها في مختلف انحاء الشرق والمهاجر ؛ في الحقبة التي شهدت تنافس البطاركة والاساقفة والرهبان في انشاء المعاهد في جرود لبنان وسفوحه ، من اهدن وزغرتا ، الى حوقا وبقرقاشه ، الى عجلتون ووادي شحرور وجبيل ؛ في الحقبة التي شهدت المطابع اللبنانية الاولى ، مار انطونيوس قزحيا (١٦١٠) ، ومار يوحنا الشوير (١٧٣٤) ، ومار جرجس بيروت (١٧٥١) تعدد الكتب المدرسية في سبيل سباق النهضة الادبية ؛ في الحقبة التي شهدت مؤلفات المطران جرمانوس فرحات (١٧٣٢؟) تحتل اوساط التعليم ، وديوان الخوري نقولا الصائغ (١٧٥٦؟) يرتفع بمستوى التقليد الشعري ، في تلك الحقبة الحافلة بمظاهر الاختمار الفكري في الشرق الادنى ، وُلد سنة ١٧٦٣ ، في دير القمر ، عاصمة لبنان اذ ذاك ، نقولا بن يوسف بن ناصيف اغا الترك .

وكانت اسرته اليونانية الاصل ، القسطنطينية المنشأ ، قد انتقلت الى الكثلكة في اوائل القرن الثامن عشر ، فنزلت « بلد الامير » لاجئة الى ملاذ الحرية الوحيد في الامبراطورية العثمانية . فنسبها الوطنيون الى « التركية » وعلق لقب « الترك » بشاعرنا .

اما نشأة الشاعر وشبابه فليس لدينا من الوثائق ما يشير اليها ، سوى ما تعلمه من نعته «بالمعلم» دلالةً على ممارسته تعليم القراءة والخطّ بعض ابناء الأسر الارستوقراطية ، وما نعرفه من اتصال ابيه الوثيق بالشهابيين على عهد الامير يوسف ، ومن اختصاصه بابنائه وكاخيتهم جرجس باز وقيامه بالمهمات الدقيقة في سبيلهم[1] حتى ان الامير بشيراً يأمر بقتله سنة ١٨٠٧ ، بعد قضائه على ابني باز ، لا يثنيه عن ذلك شيخوخته ولا خدمات ابنه نقولا ، «لانه - اي يوسف الترك - كان متقدّم عند جرجس باز ويسمع كلامه» ، كما يقول الامير حيدر[2] .

بيد ان هذا الحادث المؤلم لم يمنع الشاعر القيام بمهمته في بلاط الامير ، كما يظهر من ديوانه ، وفيه المدائح المؤرخة بالسنة نفسها وبالسنوات التي تليها[3] الّا انه كان يتجنب ، في كل ذلك ، بل في سائر قصائده ، ذكر جرجس باز وحركة ابناء الامير يوسف . واملّه اقام مدةً ، في تلك الحقبة ، في دار المختارة لائذاً بحمى الشيخ بشير جنبلاط . نرجح ذلك ، ولا نجزم به ، لكثرة ما نراه من مدائح الشاعر لسيّد المختارة في هذه الفترة من الزمن[4] .

وكان المعلّم نقولا قد زار مصر منذ ايلول سنة ١٧٨٩ ، كما يظهر من احدى القصائد[5] ، واقام فيها مدةً فكان في القاهرة سنة ١٧٩٣[6] . وقد يكون رجع الى لبنان في السنة التالية[7] بعد ان أسّس علاقات طيبة في اوساط «الشوام» اي المهاجرين الى مصر من ابناء لبنان وسوريا واكثرهم تجّار ، وكتّاب دواوين ،[8] ومن المنتمين الى طائفة الروم الكاثوليك ، طائفة المعلّم .

١) تاريخ الامير حيدر (طبعة رسم والبستاني) ١ : ٢١٠ .
٢) الكتاب المذكور ٢ : ٥١٤ .
٣) اطلب الديوان (طبعتنا) ص ٢٢ ، ٢٥٥ ، . . .
٤) اطلب الديوان ، ص ٤٠٠ ، ٤١٢ ، ٤٣٦
٥) الديوان ، ص ٢٠
٦) الديوان ، ص ٩٧
٧) الديوان ، ص ٤٢٨
٨) الديوان ، ص ٢٠ - ٢٤

واذًا فقد كان على معرفة بشؤون ذاك القطر ، وعلى بصيرة في قدر امكانياته الحربية والاقتصادية . وهو ما دفع الامير بشيرًا الى ان يعهد اليه في مراقبة الحالة العامة في اثناء الاحتلال الفرنسوي . ذلك ان حملة بونابرت على الديار المصرية كان من شأنها ان يتجاوز تأثيرها تلك الحدود الى الاراضي المقدّسة ، بل الى لبنان نفسه ، وان « الستين الفًا من الدروز » الذين كانوا ينتظرون سقوط عكا لينضمّوا الى الجيش الفرنسي ، كما يقول دي فوربن[1] ما كانوا ليتهوّروا في هذه المغامرة الا بعد ان يعرف اميرهم ، حقّ المعرفة ، مقدّرات هذا الجيش وامكانيات المقاومة في الحامية المصرية . فكان على المعلّم نقولا ان يحسن المراقبة من مقرّه ، في القاهرة اولًا ، ثم في دمياط ، وان يدوّن كلّ ما يتصل به من اخبار الجيوش وحركاتها ، وعددها وعُددها ، وان يُرسل بخلاصة ذاك الى اميره . وكان لا بدّ من ان تمرّ هذه الرسائل ، في طريقها الى لبنان ، بمنطقة الجزّار ، فيتعرّض حاملوها للمخاطر . ويذكر أَلكسندر كَرْدَن ان احدى هذه الرسائل كانت سبب مصيبة أنزلت باحد اخوة المعلّم ، وكان مقيمًا في عكا[2] .

وقد كوّنت معلومات المعلّم وملاحظاته كتابًا ضخمًا غدا من اهم المصادر التاريخية في الحملة الفرنسوية على مصر ، نشر قسمًا منه في باريس ، مع ترجمته

---

(١) cf. De Forbin, *Voyage dans le Levant*. Paris, 1819

(٢) A. Cardin, *Expédition française en Egypte, par Moallem Nicolas El-Turki*. Paris, 1838, p. 2.

– ولا نعرف اسمه ، لان الديوان لا يتضمّن من اسماء ابناء الناظم الا اسم ابنه فتح الله المولود سنة ١٨١٢ ، واسم اخيه شبلي المتوفى سنة ١٨١٣ ، كما يُستنتج من شاهد قبره في ساحة كنيسة النبي الياس في دير القمر ، او سنة ١٨٢٣ كما يُستنتج من تأريخ وفاته بالديوان (ص ١٧٢) – ولا يمكن ان يكون هذا ضحيّة الجزّار – واننا نجد ، بعد تاريخ وفاة شبلي الترك ، على اللوحة القبريّة نفسها ، تاريخًا لوفاة رجل اسمه ناصيف ، لعلّه من اخوة المعلّم ، ولعلّه اكبرهم جريًا على العادة بتسمية البكر باسم الجدّ . الا انه لا يصحّ ان يكون ضحيّة الجزّار كذلك لان وفاته حصلت سنة ١٧٨٠ . وفي الديوان ذكر لابن اخت للناظم يدعى جرجس عايده كان مقيمًا في دمياط ، والناظم بالقاهرة سنة ١٧٩٩ (ص ٨٦ – ٨٧) . وهناك ذكر لابن اخت آخر لم يصرّح باسمه كان مقيمًا في بيروت (الديوان ص١٦٥ – ١٦٨) .

الفرنسوية ، المستشرق ديغرانج[1] الذي عرف المعلم نقولا في ديرالقمر ؛ وترجم ملخصه المستشرق كاردن في باريس ايضاً[2] ؛ ونقله بحرفه تقريباً الامير حيدر شهاب في تاريخه الكبير « الغرر الحسان في اخبار ابناء الزمان »[3] والكتاب ، وان جرى على الطريقة القديمة في التأريخ سنةً فسنةً ، وان لم يتخطَّ الاحداث الى التعليل والنقد ، الا انه يمتاز بدقّة في النظر ، وصواب في الحكم ، وتحرٍّ لبعض المعلومات ، ولباقة في الوصف اعجب بها ديغرانج حتى نسبها الى الفنّ ، كما اعجب بحرارة السرد في ذكر بعض المعارك[4] ، ولا نراها بعيدة عمّا كان يقرأه الترك في « سيرة عنتر ».

ومما يزيد في قيمة الكتاب ان المؤلف كان على اتصال بكبار القوم ، وطنيين واجانب ، حكّاماً وولاةً وموظفين ، وتجّاراً ، يقف على احوالهم واعمالهم ويؤرخ اهمّ احداثهم . فاذا دخل الجنرال بونابرت القاهرة فاتحاً هنأه بقصيدة حماسية[5] ، وارّخ ذاك الحدث المهم سنة ١٢١٣ هـ . (بدؤها ١٥ حزيران ١٧٩٨) ، واذا قُتل الجنرال كليبر رثاه بقصيدة عاطفية تاريخية كذلك ، ملخّصاً فيها اعماله المجيدة في المعارك وانتصاراته المديدة[6] . واذا اخلى الفرنسيون مصر ، فوليها باسم السلطان يوسف باشا المعدني ، ارّخ هذا الحادث ايضاً ببيتين ، وذكر عدل

---

١) M. Desgranges aîné, *Histoire de l'Expédition des Français en Egypte, par Nakoula El Turk*. Paris, 1839.

ذكر فيه جمهور الفرنساويّة الاقطار المصرية والبلاد الشامية ، تأليف معلم نقولا الترك . طبع في مدينة باريز المحميّة ، بدار الطباعة السلطانية ، سنة ١٨٣٩ المسيحية .

٢) *Journal d'Abdurrahman Gabarti pendant l'occupation française en Egypte*, suivi d'un *Précis de la même campagne par Mou'allem Nicolas El-Turki, secrétaire du Prince des Druzes* ; traduit de l'arabe par Alexandre Cardin, drogman chancelier du Consulat général de France en Egypte. Librairie Orientale, Paris, 1838.

٣) طبعة اسد رستم وفؤاد افرام البستاني ، بيروت ، ١٩٣٣ ، المجلد الثاني ، ص ٢١٢ – ٢٤٠

٤) Desgranges, *op. cit.*, p. VII

٥) الديوان ، ص ١٨٠ – ١٨٣

٦) الديوان ، ص ٤٢٨

الوالي وسيره على راسة الرعية[1]. واذا زوّج المعلم ملطي القبطي ، كاتب ديوان الوالي ، ولده يعقوب ، لم يترك الشاعر الفرصة تفوته فهنأه مؤرخاً[2] واذا اجمع « تجار الشوام » على تنظيم حلف يربطهم ويؤمن مصالحهم ، مدحهم الشاعر ونصحهم موبّخاً[3]. واذا وصل اليه في دير القمر ، بعد تركه مصر ببضعة عشر عاماً ، ان « احد احبابه المدعو باسيلي فخر تفصل دولة فرنسة ووكيل غيرها من الدول قد اشترى قصراً في مدينة دمياط ، هاداه بابيات » تاريخية استعادت ذكرى الليالي الآنسة على ضفاف النيل.[4]

❦

ترك المعلم نقولا مصر ، آسفاً عليها ، سنة ١٨٠٤ ، عائداً الى دير القمر ، مستبدلاً « مذهب التدريس ، بفضل مكايد ابليس » بعد ان كان قد « خرج من القاهرة ، بثروة وافرة »[5]. ولا ندري أكانت تلك الثروة حقيقية ام جذبتها السجعة . الا اننا نتحقق من مظاهرها عبدةً سوداء اتى بها المعلم ، وكانت تشكو البرد ايام الشتاء فتصيح بلسانها ولسانه ، على ما يظهر :

ابن الصفا ، ابن الدفا ابن الاراضي المشويه
بل ابن مصر وصفا تلك الليالي الطيّبه[6]

وقد كان اول همّه ان يعمل على ابتناء دار لائقة . فألف تلك المقامة المشهورة «بالديرية» وقدّمها الى الامير سنة ١٨٠٤ — وكان الامير لا يزال في دير القمر قبل بنائه قصر بتدين — يحلم فيها بانه امتلك ارضاً بالقرب من قبة الشربين ، وبُني له فيها « خير سكن ، واشرف مستكن.»[7] وقد تحقّق الحلم على اتمّ وجه ، فامر الامير للشاعر بالارض المطلوبة ، واشار على اولاده وعلى

١) الديوان ، ص ٤٢٩
٢) الديوان ، ص ٩٧
٣) الديوان ، ص ٢٣
٤) الديوان ، ص ١١٨
٥) الديوان ، ص ٢٧٤
٦) الديوان ، ص ٢٦٣
٧) الديوان ، ص ٢٤٦

الشيخ بشير جنبلاط بان يعينه كل منهم بما تيسر حتى كانت له تلك الدار الفسيحة الجميلة ، بالهندسة اللبنانية المعروفة في اوائل القرن التاسع عشر[1] .

ومن ثم تقيد الشاعر بمدح الامير وابنائه ، واقربائه ، ومدح الشيخ بشير جنبلاط ، وسائر رجال الاقطاع في ذاك العهد . ولنا في ديوانه الوثائق العديدة ، والمصادر المختلفة في معرفة تلك الحياة الاقطاعية سلماً وحرباً ، جداً ولهواً ، كما ان فيه الوثائق الكثيرة كذلك في حياة الشاعر الخاصة . تعرف منها انه لم يكن له مرتب خاص اذا كان يعيش على «كيس الاجاويد» ، كما يُقال ، « والاجاويد » كثيرون . فاذا احتاج الى شيء من مأكول او مشروب ، او ملبوس ، او مركوب ، حرّك قريحته فتحركت اليه الهدايا : الحبوب على اختلاف انواعها : الحنطة ، العدس ، الحمص ، الارز ؛ الجبن والزيت والسمن ، العرق والنبيذ ، الدخان والعطوس ؛ يتبارى في تقدمتها الامراء جميعهم ، ولا سيما الامير حيدر المؤرخ ، وقد يشترك معهم المشايخ كالشيخ بشير جنبلاط والشيخ بشاره الخازن . امّا الامير الكبير فكأنه كان يختص بخلع الفراء في الشتاء ، والسراويلات ، والعباء ، والعمائم ، وما يترتب في المواسم والاعياد خاصة ولا سيما المرافع ؛ واهداء المطايا من برذون او بغل او حمار .

ويطول بنا الكلام اذا عرضنا بالتفصيل لهذه المطالب جميعها ، والديوان حافلٌ بها ، لا يتحرّج صاحبه من ذكر حاجة ، حتى جذوع الزنزلخت ليسقف بيت المؤونة الذي سقط في شتاء سنة ١٨١٢ ؛ وبدل علبة عطوس اضاعها — او ادّعى انه اضاعها — في دار الامير حسن شهاب في وادي شحرور الخ . . .

وهكذا أمكن الشاعر ، وقد اطمأن الى ضمان حاجاته المادية ، ان ينصرف بكليته الى وصف عصره وبيئته . فترك لنا عن حياة الامير واعماله ومُنشآته ، من قصور وجنان وبرك وحمامات ، وخطراته للصيد والقنص ، وملاهي بلاطه ، حتى لعب الورق في ليالي الشتاء الباردة ، وعن علاقاته برجال

---

١) لا تزال هذه الدار قائمة ، على خراب اكثر مساكنها . وقد انتقلت من ورثة الحلم نقولا الى موسى شوعا الاسرائيلي الدبري ، ثم الى موسى سعد ، وهي باقية ، في اكثر اقسامها ، بيد ورثته .

الاقطاع في عصره ، واتصالاته بالولاة في جواره ، ادقّ الوثائق . فاصبح الديوان من المصادر المهمّة لا يُستغنى عنه في تاريخ الحقبة الممتدّة من السنة ١٧٩٠ الى السنة ١٨٢٥ ، بل في تاريخ مختلف الابنية في قصر الامير في بتدين ، وفي قصر الشيخ بشير جنبلاط بالمختارة لانه كما اتصل الشاعر بالامير الكبير مادحاً ومهنئاً ومؤرّخاً ، اتصل كذلك بالشيخ بشير مادحاً ومهنئاً ومؤرّخاً ، ومقيماً بعض الاحيان بدار المختارة ، وكما خصّ بالامير « كتاباً » من ديوانه هو الجزء الثالث ، خصّ بالشيخ كذلك « كتاباً » هو الجزء الاخير من ديوانه . ولا يخفى ان الشيخ بشيراً كان ينافس الامير في الكثير من اعماله ومُنشآته ومظاهر كرمه ، فكان الشاعر المؤرّخ يدوّن ذلك بامانة ، وان لم تبلغ قصائده في الشيخ عدداً وروعةً قصائده في الامير ، كما ان درجة الشيخ لم تبلغ درجة الامير ، ولا قصر المختارة ادرك ذروة قصر بتدين .

والى جنب الشيخ بشير ينبغي ان نذكر عدداً كبيراً من رجال الاقطاع ، امراء ومشايخ ، مدحهم الشاعر فالقى ضوءاً على اعمالهم ومهّد للمؤرخ السبيل الى تأريخها ، كسائر الشهابيين والارسلانيين ، والخازنيين ، والدحادحة ، والنكديين وغيرهم . وكان يزور الشاعر بعضهم فينزل اياماً في بيوتهم ، كما كان ينزل في ديورة الرهبان كذلك ، ولا سيما دير المخلّص .

ولم يكتفِ الشاعر بتصوير البيئة الارستوقراطية في المجتمع اللبناني ، بل كثيراً ما وصف حياته وحياة انسبائه واصدقائه ، في بعض المواسم والاعياد ، بل في الحياة الجارية الرتيبة واحداثها المتنوّعة من عادية كالولادة والموت ، ومن غريبة مفاجئة كهجوم الاوبئة وما تتطلب من طرق وقاية وانواع علاج . وللشاعر ، في هذا الباب ، ارجوزة شهيرة ضمنها كلّ ما يُعرف في عهده عن وبأ الطاعون[1] ، من دلائل واوصاف ، وكل ما كان يُطلب من السكان في حال ظهور الوبأ من احتياط واهتمام ، مستعملاً الالفاظ الرضية والمصطلحات الخاصة ، مما يجعل للارجوزة قيمةً لغوية في هذا الموضوع . وكذلك القول في

١ ، الديوان ، ص ٥٤ – ٥٨

ما خصّ القيمة اللغوية والاصطلاحية ، عن ارجوزة اخرى خصّها الشاعر بالصيد بواسطة البازي[1].

ومن فوائد الديوان الادبية التاريخية ما تضمن من مساجلات ومراسلات بين الشاعر وزملائه المديدين امثال بطرس كرامه ، والياس اده ، وصالح الترشيحي ، وامين الجندي ، وعثمان الحموي ، وعمر البكري ، ولطفي ديه ، وعبدالله الحلبي ، من شعراء العصر ومؤرخي مآتي الامراء والمشايخ على طريقته ، ومنهم من لا تعرفه الّا بفضل ديوان الترك .

ولنشر الى ما في الديوان من تعابير دخيلة ، ومصطلحات خاصة ، والفاظ عامية بقيت في لهجتنا اللبنانية من عهود سحيقة ، وكلها تشترك في جعل الديوان صورة حية لذلك العصر

❧

وهو صورة صادقة لحياة الشاعر كذلك : اسفاره بين مصر ولبنان ، اقامته في دير القمر وتنقلاته في المدن والقرى اللبنانية ، زياراته للامير بشير ونزوله على بعض الامراء والمشايخ ، او في ديورة الرهبان ، وجوده في بيروت ضيفاً على ابن اخته في اثناء بعض الحوادث والقاء القبض عليه وحشره الى الحبس ثم خلاصه من تلك المحنة ؛ عبث الامراء به و « تنكيتهم » على شعره ، المساجلات والمداعبات بينه وبين اصدقائه من النُظّام ، سرقة بعضهم شعره وغضبه عليهم ، كلّ ذلك نجده موصوفاً بدقة ومصوّراً باخلاص ومؤرّخاً في الديوان . كما نجد وصف الاحداث الخاصة في حياته العائلية : خلافه مع ابن اخته جرجس عايده ، ولادة ابنه فتح الله سنة ١٨١٢ وابتهاجه بذلك ، وفاة اخيه شبلي ، سقوط سقف بيت المؤونة ، وانهيار القناطر في داره ، وفاة برذونته الشقراء وولادة حمارته ، اطلاق لحيته جرياً على السنة التي سنها الامير بشير سنة ١٨١٣ فتبعه عليها كبار القوم وشعراء البلاط . ويتجاوز ذلك الى احوال الصحة والمرض فيذكر ألمّا اصاب احدى عينيه سنة ١٧٩٩ ، وهو نزيل القاهرة . وكأنّ هذا الالم ازداد او تجدّد ، على تقدّم الشاعر في السنّ ، فقوي سنة ١٨١٦ ، والشاعر

---

١) الديوان ص ٢٦١ – ٢٦٥

في ضيافة دير المخلص ، حتى نقد عينه[1] . وقد يكون الداء خالٍ يعمل الى ان ذهب بالعينين معاً ، فغدا الشاعر كفيفاً في أخريات ايامه يُملي ابياته على ابنته وردة[2] . واصيب الشاعر كذلك بمارض مفاجئ من نوع الفالج نزل بجانبه الايمن ،

فبات ملقىً طريحاً غير مقتدرٍ على القيام ، ولا رجلاه تنتصبُ[3]

وكان ذلك سنة ١٨١٦ ، فاطال الشكوى وطلب من الامير بشير ان يرسل اليه طبيباً[4] . وقد يكون شفي من هذه النازلة[5] ، او خفّ اثر الفالج به ، فاقام مدةً لا يرى بأساً ، متابعاً عمله في مدح الامير ، مضيفاً نظم بعض المزامير تقرّباً الى الله ، وتسهيلاً لشرعها على افواه الناس ، « فينشدها العابدون ، ويرتلها المرتّلون ، ويألفها اولاد المدارس ، لما في الشعر من عبارات تفانس . »[6] حتى اذا مرض مرضاً خاله الاخير انشأ خمسة ابيات لتنقش على قبره[7] . وقد نقشت بالفعل على بلاطة جعلت فوق قبر الشاعر في الحائط الشمالي الداخلي من ساحة كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك في دير القمر . الّا انه أُضيف اليها بيت سادس نُسب الى الشيخ ناصيف اليازجي ، على كونه متضمّناً تاريخ وفاة الشاعر ، وهو :

واقبل هتافي الذي تاريخه ابداً اني على رحمة الكافي توكلتُ

---

١) الديوان ، ص ٤٠٦

٢) عيسى اسكندر المعلوف : « في المشرق » ٣٩ [١٩٣١] ٢٨٨ – ولا نرى ذكراً لوردة في هذا الديوان . وقد ترجم لها الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف في مجلة الآثار (١ : ٢٦٣) وقال انها تزوّجت بحبيب الصوصه من دير القمر ، ورزقت ولدين اديبين توفيا بلا عقب . كما ان اخاها فتح الله توفي يافعاً ، فانقطع نسل شاعرنا .

٣) الديوان ، ٤٤ ، وقد اكثر من ذكر هذا العارض في ص ٤٠ ، ٤١ ، ١٤٥ ، ١٩٤ ، ٢٦٨ ، ٣٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤

٤) الديوان ، ص ٢٢١

٥) الديوان ، ص ٢١٤

٦) الديوان ، ص ٢٢١ – نظم الشاعر عشرة مزامير هي الستة الاول والمزمور الخمسون .

٧) الديوان ، ص ١٧٧

بيد اننا اذا تدبّرنا مجموع الارقام التي تمثلها حروف التاريخ من هذا البيت رأينا انها تبلغ ١٨١٦ ، — وعمر الشيخ ناصيف اذ ذاك ست عشرة سنة — ولا يمكن ان تكون هذه السنة تاريخاً لوفاة الشاعر ، لاننا نعرف له القصائد الكثيرة نظمها بعد هذا التاريخ . واذا اعتبرنا الالف المقصورة في « علىٰ » ياء — وهو تخريج قد يُلجأ اليه — كان لنا ١٨٢٥ . ولا نراه موافقاً كذلك . وقد جاء في مجلة « المسرّة »[1] ان وفاته حدثت سنة ١٨٢٦ استناداً الى بيت منقول عن مجموعة خطية في دير الشير ، — وهو آخر الابيات التي نقلناها في حاشية الصفحة ١٧٧ من الديوان وورد تحتها سنة ١٨١٦ — ؛ اما ارقام البيت فتبلغ في رواية « المسرّة » ، ١٧٦٩ ، وفي روايتنا ١٨٠٩ . وليس في كل هذه المجموعات ما يقرب من الحقيقة .

اما سنة الوفاة فالارجح انها ١٨٢٨ ، على ما اثبته الاب شيخو في « تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر » ، وفي « كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية »[2] استناداً الى ما وجده في مقدّمة تاريخه المطبوع في باريس ؛ وعلى ما ذكره عيسى اسكندر المعلوف في « دواني القطوف »[3] ثم في « المشرق »[4] . ونحن على هذا القول الى ان يثبت خلافه بطريقة واضحة .

واما القبر فلا يزال معروفاً في باحة كنيسة النبي الياس للروم الكاثوليك في دير القمر ، يشير اليه شاهد في الحائط الشمالي ، وهو بلاطة مستطيلة حُفرت فيها الابيات الستة المعروفة .[5]

---

١) سنة ١٩٣١ ، ص ٤٣

٢) الاب لويس شيخو : تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٢٦ ، ١ : ٢٢ ؛ والمخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، بيروت ١٩٢٦ ، ص ٧٤ — واطلب « المشرق » ١٩ [١٩٢١] ٧٨

٣) عيسى اسكندر المعلوف : دواني القطوف بيروت ، ص ٢٢١

٤) عيسى اسكندر المعلوف : تواريخ الامبراطور نابوليون بونابرت باللغة العربية ولا سيما تاريخ نقولا الترك اللبناني منها ، في « المشرق » ٢٩ [١٩٣١] ٢٨٧

٥) تحت بلاطة نقولا الترك ، بلاطة مستديرة فيها ستة ابيات في تاريخ وفاة رجل اسمه استفانوس . وتحتها بلاطة مستطيلة ذات قسمين : في القسم الاول بيتان لشاعرنا في

هذا هو الديوان الكبير يرافق حياة الشاعر الخاصة والعامة ، محتوياً على نحو خمسمائة قصيدة ومقطوعة تتناول ، بلغة القرن التاسع عشر ، حقبة حافلة بالاحداث من حقب تاريخنا المستطيل ، فتصورها سياسة وادارة ، واجتماعاً ، وثقافة ، ودينا ، واخلاقاً وعادات وتقاليد ، فوق ما تشير اليه من احداث طبيعية ، وغرائب مناخية ، وكوارث هائلة . واذا بالديوان ذو قيمة تاريخية ولغوية وشعبية لا يصح ان يستهين بها المؤرخ البصير الواعي لجميع تطورات المجتمع .

بيد ان قيمته الشعرية دون ذلك بدرجات . فهو لا يسمو في شيء فوق آثار التقليد النظمي المتتابع في عصور الانحطاط ، بل قد يقل عنها قوة سبك وشدة ضبط ، وان كان يزدهي حيناً بالصورة الطريفة ، والوصف المبتكر . ذلك ان لغة العرب لم تعن تماماً لحفيد اليونان . فظل شاعر عصر جليل ، دقيق النظر ، مرهف الشعور ، صائب القياس ، بصير الحكم ، ولكنه بئي التعبير .

تاريخ وفاة اخيه شبلي سنة ١٨١٣ – وقد ورد هذا التاريخ في الديوان (ص ١٧٣) ١٨٢٣ – وسبب الخلاف زيادة الياء على اسم شبل . وفي القسم الثاني خمسة ابيات في تاريخ وفاة رجل اسمه ناصيف ، كان نياحه في ٢٣ آب ١٧٨٠ مسيحية ، (راجع الحاشية ٢ من الصفحة ٨٩